

أضواء البيان

@ 432 كان منه صلى الله عليه وسلم ، فهو من باب الجبلية تقريبا ، كأن المثير له غرض عام من خصوص الرسالة ومهمتها . .

ومع ذلك فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان بعد نزولها يقول له : (مرحبا فيمن عاتبني فيه ربي) ، ويكرمه ، وقد استخلفه على المدينة مرتين . .
وعلى هذا يكون المراد بهذا أمران : .

الأول : التسامي بأخلاقه صلى الله عليه وسلم إلى ما لا نهاية له ، إلى حد اللحظ بالعين ، والتقطيب بالجبين ، ولو لمن لا يراه ، كما قال صلى الله عليه وسلم : (ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين) وذلك في صلح الحديبية . .

والثاني : تأديب للأمة وللدعاة خاصة ، في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما علمهم في شخصيته في بر الوالدين ، في قوله تعالى : { إِمَّا يَبُولُغُنَّ - عِنْدَكَ الْكُبَرَ - أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آيُفٌ وَلَا تَذَهَبْ لَهُمَا } . .
وهذا السياق بكامله من أول السورة إلى قوله تعالى : { كَلَّا - إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ } ، بيان لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يراعي في الدعوة إلى الله غنيا ولا فقيرا ، وأن يصبر على ضعفة المؤمنين . لأن الرسالة تبليغ وليس عليه ما وراء ذلك من مسؤولية ، فلا يتكلف لهم . .

وقد حثه الله تعالى على الصبر مع المؤمنين ، لإيمانهم في قوله تعالى : { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ } . .

ومثله قوله تعالى : { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } مَا عَلَيكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مَنْ شَاءَ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مَنْ شَاءَ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } . .

وقد تقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه ، شيء من هذا البيان عند هذه الآية ، وبين أن هذا التنبيه قد وقع من نبي الله نوح إلى قومه ، حينما ازدروا ضعفة المؤمنين في

